وقائع المؤتمر الدولي الأول

لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

بالتعاون مع جامعة واسط

(الأبعاد التربوية والاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام)

المجلد الثاني

المحور الأول – علم النفس التربوي

القيم في تراث الامام زين العابدين عليه السلام ونظريات علم النفس

أ.د. علي عوده محمد

الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب

الملخص:

أن موضوع القيم من الموضوعات الاساسية في التراث الاسلامي بشكل عام وفكر الامام زين العابدين عليه السلام بشكل خاص، ثم ظهر جليا في ميدان علم النفس عموما وعلم النفس الاجتماعي بشكل خاص، ولهذا من الصعب على أي باحث يدرس السلوك الانساني – أيا كان مجال هذا السلوك أو وجهته – أن يتجاهل دور القيم وتأثيرها على حياة الافراد والجماعات وأنعكاساتها المتعددة في كل نواحي النشاط الانساني.

ولهذا نجد أن الامام زين العابدين عليه السلام كان يؤكد في أدعيته على القيم السامية، ففي كل دعاء من أدعيته أثارة جديدة للعقل، ويقظة متجددة للضمير، وترميم جديد للوجدان، مؤكدا على القيم الاخلاقية والاجتماعية والسمو عن ملذات الحياة.

أن للقيم في حياة الفرد أهمية لا تقل عن أهميتها في حياة المجتمع، فهي دوافع محركة لسلوكه ومحددات لهذا السلوك.

أستهدف البحث أستقراء القيم الاجتماعية من خلال أدعية الامام زين العابدين عليه السلام والمؤلفات التي دارت حول تراثه، علاوة على نظريات علم النفس المختلفة، ثم قام الباحث بتحديد مصطلح القيم عند الامام عليه السلام وكذلك ماورد من تعريفات نفسية، أستعرض الباحث بعدها في الاطار النظري جملة من الادعية للامام زين العابدين عليه السلام والتي أكد فيها على القيم الاسلامية السامية والتي ظهرت جليا في سلوكه، علاوة على مجموعة من نظريات علم النفس والتي فسرت نشأة وتشكل القيم عند الافراد، ثم قدم الباحث أستنتاجا لما تمخض عنه البحث ومجموعة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المفتاحية: أدعية، تراث، الامام زين العابدين عليه السلام، علم النفس

Abstract:

The topic of values is one of the basic topics in the Islamic heritage in general and the thought of Imam Zayn al-Abidin, peace be upon him, in particular. Then it appeared clearly in the field of psychology in general and social psychology in particular, and for this reason it is difficult for any researcher who studies human behavior - whatever the field of this behavior or His aim is to ignore the role of values and their impact on the lives of individuals and groups and their multiple repercussions in all aspects of human activity.

This is why we find that Imam Zayn al-Abidin, peace be upon him, emphasized lofty values in his supplications. In each of his supplications, there is a new stimulation of the mind, a renewed awakening of the conscience, and a new restoration of the conscience, emphasizing moral and social values and transcendence of the pleasures of life.

Values in the life of an individual are no less important than their importance in the life of society, as they are motives that drive his behavior and determinants of this behavior.

The research aimed to extrapolate social values through the supplications of Imam Zayn al-Abidin, peace be upon him, and the writings that revolved around his heritage, in addition to various psychological theories. Then the researcher defined the term values according to the Imam, peace be upon him, as well as the psychological definitions mentioned. The researcher then reviewed, in the theoretical framework, a number of The supplications of Imam Zayn al-Abidin, peace be upon him, in which he emphasized the lofty Islamic values that appeared clearly in his behavior, in addition to a group of psychological theories that explained the emergence and formation of values in individuals. Then the researcher presented a conclusion for what the research resulted in.

Keywords: supplications, heritage, Imam Zayn al-Abidin, peace be upon him, psychology

مشكلة البحث وأهميته:

أن موضوع القيم من الموضوعات الاساسية في التراث الاسلامي بشكل عام وفكر الامام زين العابدين عليه السلام بشكل خاص، ثم ظهر الموضوع جليا في ميدان علم النفس عموما وعلم النفس الاجتماعي بشكل خاص، وبالذات بعد أن تبين ان كثيرا من الموضوعات والمشكلات الاجتماعية ومختلف مظاهر السلوك ومراحل تكوين الشخصية تتصل أتصالا وثيقا بدراسة القيم.

ومن أجل ذلك شغل موضوع القيم أهتمام الكثير من المفكرين ومنذ عهد بعيد، وازدادت أهمية دراسة القيم في العصر الحاضر المليء بالأحداث الاجتماعية والثورات العلمية والتي اثرت في فعاليات الانسان والمجتمع فكرا وسلوكا (زاهر، ١٩٨٤، ١).

ولهذا من الصعب على أي باحث يدرس السلوك الانساني – أيا كان مجال هذا السلوك أو وجهته – أن يتجاهل دور القيم وتاثيرها على حياة الافراد والجماعات وأنعكاساتها المتعددة في كل نواحي النشاط الانساني، فالقيم موجودة في قاع سلوكنا كله، وهي توجيه لكل فعالية أنسانية، وكل غاية وكل أبداع (العوا، ١٩٨٩، ٦٦-٦٩).

أن القيم جوهر الحضارة، أذ أنها تحكم حياتنا وتدخل في كل نشاط نقوم به، وكل تفكير نفكر به، وهي التي تشكل سلوك الجماعات وأسلوب حياتهم بطريقة مميزة وبطابع خاص بهم (دياب، ١٩٩٦، ٣٤).

ولهذا نجد أن الامام زين العابدين عليه السلام كان يؤكد في أدعيته على القيم السامية، أذ كان يتوغل في أعماق النفس البشرية فيثير العقول، ويجلو الضمائر، ويرفع الحجب واحدا بعد واحد، ويقمع شهوات النفس جميعا، ويتحدى وساوس أبليس، فيوصل الداعي الى نبع الفطرة ويفجر فيه ينابيع الحقيقة، ففي كل دعاء من أدعيته أثارة جديدة للعقل، ويقظة متجددة للضمير، وترميم جديد للوجدان، مؤكدا على القيم الاخلاقية والاجتماعية والسمو عن ملذات الحياة، فعندما تسمعه يقول:

(اللهم أني أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلة القناعة، وشكاسة الخلق، والحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وأيثار الباطل على الحق، والاصرار على المأثم، وأستصغار المعصية، وأستكثار الطاعة)

تشعر أنه يثير فيك الكوامن الخيرة، ويبعدك عن الكوامن الشريرة، ويدفعك الى علياء الايمان والتمسك بالقيم النبيلة بعيدا عن الاثام (المدرسي، ٢٠٠٤، ٤٧-٤٨).

ولكي يتمكن كل فرد من العيش في مجتمعه، فأن عليه أن يتبنى النسق القيمي السائد فيه ليصبح فردا أجتماعيا، ذلك أنها المحكات التي تتحكم بالفرد او الجماعة، وبالمواقف، والسلوك، والافكار والمشاعر،

والاحداث والالفاظ، بما هو مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه، لذا أذا لم يكن هنالك توافق في النسق القيمي لأعضاء المجتمع فأن الحياة الاجتماعية تكون صعبة **(Zanden,1995,64)**.

ولهذا فأن تكامل االبناء الاجتماعي لأي مجتمع **Social Structure** أنما يعتمد أساسا على وجود القيم المشتركة بين أعضائه، فكلما كانت هذه القيم متجانسة أدت الى تماسكهم، في حين يقود أختلافها في المجتمع الى التنافر والتباعد، فتقود الى التفكك والتخلخل بين أعضاء المجتمع **(Cold,1999,25)** فكلما أتسع مدى القيم المشتركة بين أعضاء المجتمع أزدادت عموميات الثقافة وأستجابات الناس لمواقف الحياة بصورة أكثر تماثلا، وظهرت بين أفراده درجة عالية من الانسجام والتوازن مما يقود الى وحدته وقوة تماسكه، بينما يؤدي أنحسار مدى القيم المشتركة الى غلبة خصوصيات الثقافة وهذا أمر يساعد على ضعف وحدة المجتمع، أما التناقض والاختلاف في القيم التي يحملها المجتمع فهو يقود الى الصراع القيمي والذي له علاقة بأحداث المشكلات الاجتماعية **(Culier&Harper ,1989, 1-20)** وفي هذا الصدد يرى **Kluckhohn** أن الثقافة ماهي في واقع الامر الا تنظيم مختلف أنماط السلوك حول ركيزة من القيم، وبديهي أن تماسك المجتمع يتوقف الى حد كبير على وحدة قيمه وأنسجامها، أي عدم وجود التناقضات الاساسية فيها **(Pierce , 2000 ,238)**.

وقد يختلف نظام القيم بين فرد وأخر وبين جماعة وأخرى، بل وحتى الافراد الذين يعيشون في نفس المجتمع قد لايتشابهون جميعا في نظمهم القيمية، ولكن مع ذلك هنالك قدر مشترك من القيم بين أفراد المجتمع الواحد مما يسمح بالتفاعل الايجابي بينهم، يشعرهم بالانتماء الى نظام قيمي سائد، رغم أن لكل فرد نظامه القيمي المتميز والذي يختلف فيه عن الاخرين (كاظم، ١٩٨٥، ٧) **(Cronback ,2001 ,45)**.

أن للقيم في حياة الفرد أهمية لاتقل عن أهميتها في حياة المجتمع **(Kluckhohn&Henry ,1997 , 345)**، فهي دوافع محركة لسلوكه ومحددات لهذا السلوك (سلامة وعبد السلام، ١٩٩٧، ١٥٥) (عبد الرحمن، ٢٠٠٠، ١٠)، ولهذا يعد النظام القيمي لدى الفرد من الابعاد الرئيسية للشخصية ويمكن الاستعانة به على فهم سلوكه (مغاريوس، ١٩٨٤، ٤٤-٤٥)، فأذا ماأردنا فهم سلوك الفرد فعلينا فحص النظام القيمي لديه **(Murphy , 1994 ,270)**، وكلما كان هذا النظام القيمي متسقا مع نظام المجتمع كان لذلك دورا هاما في تكامل شخصية الفرد، بينما تؤدي التناقضات بين النظام القيمي للفرد ونظام قيم المجتمع الى صراعات أشبه بالاضطرابات النفسية (طوالبه، ١٩٨٥، ٧٤) **(Cronback ,2001 , 45)**.

وهكذا ولأهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع فقد كانت موضع أهتمام الامام زين العابدين عليه السلام في أدعيته، ففي دعاؤه عليه السلام في مكارم الاخلاق ومرضي الافعال يقول:

(اللهم سددني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من أغتابني الى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة)

فهذه القيم والخصال من أفضل مكارم الاخلاق وأصعبها، بأن يعارض الانسان من غشه بالنصح، ويجزي من هجره بالبر ولايقطعه عنه، ويصل ويقترب من قاطعه، وأن يذكر من أغتابه بالذكر الحسن، ويشكر من يحسن اليه ويغض عن السيئة التي يأتي بها الناس (الشيرازي، ٢٠٠٨، ١٤٢).

كذلك ولأهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع فقد أهتمت بها الابحاث النفسية لأرتباطها بعدة نواحي نظرية وتطبيقية في ميدان علم النفس، وظهر ذلك في أهتمام علماء النفس بها ضمن ميدان علم النفس الاجتماعي (هنا، ١٩٩٦، ٤).

لقد حاولت بعض الدراسات أن توضح العلاقة بين أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء والمناخ الاسري الذي يعيشون فيه وبين أنساقهم القيمية (عبد المجيد، ١٩٨٠) (Mckinney,1991).

في حين ربطت بعض الدراسات بين القيم والتوافق النفسي (السلطان، ١٩٧٧)، وبين القيم والتصلب في السلوك الاجتماعي (حسين،١٩٨٥)، وبين القيم ومستوى الطموح (عبد العال، ١٩٧٦)، والقيم الخلقية والعصاب النفسي (عبد المعطي، ١٩٧١).

في المقابل حاولت أبحاث أخرى أن تبين أثر بعض المتغيرات على تغير قيم الافراد كدراسات ((Rokeach ,1973 والتي أشارت الى أثر كل من جنس الفرد، الدين، العرق، التخصص الدراسي على النسق القيمي للأفرد، كما أشارت هذه الدراسات أيضا الى ان القيم تميز بين الافراد المختلفين في كل من المكانة الاجتماعة والجنس والعمر والدين والميول السياسية.

أن المتفحص للابحاث يلاحظ أنها تؤكد على تأثير كل من البيت والمدرسة والاقران وبعض خصائص الشخصية على قيم الافراد، علاوة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعيشها البلد، ولايخفى ما واجهه بلدنا من تغيرات أجتماعية وحروب على مر العقود الماضية والتي تقود بالضرورة الى تغير في تصور الفرد عن ذاته وعن عالمه، كما تقود الى تغير في قيمه، وعدم مقدرة الكثير من الافراد على التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ، وبالتالي تضعف مقدرتهم على الانتقاء من بين ما موجود من قيم في المجتمع، ويعجزون عن تطبيق ما يؤمنون به من قيم (زاهر، ١٩٨٤، ٧)، فالتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية كانت ولاتزال في تفاعل مستمر مع النظام القيمي في اي مجتمع.

وبناء على ما تقدم جاء البحث الحالي ليسلط الضوء على القيم الاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام ونظريات علم النفس.

هدف البحث:

أستهدف البحث تعرف:-

القيم الاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام ونظريات علم النفس

حدود البحث:

تحدد البحث بأستقراء القيم الاجتماعية من خلال أدعية الامام زين العابدين عليه السلام والمؤلفات التي دارت حول تراثه، علاوة على نظريات علم النفس المختلفة.

تحديد المصطلحات:

القيم Values:

أن مفهوم القيم عند الامام زين العابدين عليه السلام هو التأكيد على قيم السماء والوقوف مع العدالة ومع المثل، وهو القائل (والله مامعاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس) فالامام عليه السلام كان يكره هذه الممارسات المشينة التي تتنافى مع القيم والمبادىء الدينية، وكان الامام عليه السلام وريث جده أمير المؤمنين عليه السلام في الحفاظ على تلكم المبادىء السماوية التي جسدها في كل المواقف التي وقفها.

وعلى الرغم من أن دراسة القيم أحتلت أهتماما كبيرا في الميدان النفسي، الا أنه مع ذلك أختلفت وجهات النظر في تحديد مفهوم القيمة وذلك لأختلاف الاطر النظرية لاصحابها ومن هذه التعريفات:

يعرفها **Albert** بانها مفاهيم أيجابية وسلبية، وهي عناصر فعالة في تحديد المرغوب وغير المرغوب من الافعال والوسائل والغايات وتكون أما ضمنية أو صريحة، وتستنتج من السلوك اللفظي وغير اللفظي الذي يتضمن الموافقة كالمديح والمكافأة والدعم، او عدم الموافقة كاللوم والعقاب والقمع **(Albert ,1976)**

أما **White** فيعرف القيم بأنها مصطلح ينطوي تحته كل من الاهداف ومعايير الحكم، والهدف يعني اي شيء يطمح اليه الانسان ذاتيا بصورة مباشرة او غير مباشرة، أما مصطلح معيار الحكم فأنه يعني اي معيار أصطلاحي يحكم به الانسان كالصدق والاخلاص **(White,1981)**.

ويتفق تعريف **Rokeach** مع التعريف السابق، فالقيم من وجهة نظره معتقد فردي من نوع خاص جدا يختص بشكل من أشكال السلوك أو بهدف من أهداف الحياة **(Rokeach,1973)**

وفي ضوء ماتقدم يقدم الباحث تعريفا للقيم: مفهوم لما هو مرغوب او غير مرغوب فيه من الاهداف ومعايير الحكم، قد تكون صريحة او ضمنية.

الاطار النظري:

اولا: القيم في تراث الامام زين العابدين عليه السلام:

أن الامام زين العابدين عليه السلام هو قائد مسيرة الدعوة والاصلاح في المجتمع، يداوي النفوس ويعود بها الى الاخلاق المحترمة التي تعيد للأمة تعاليم الاسلام السامية، التي كاد أن يقضى عليها بالأراء الفاسدة والشعارات المزيفة والدس والتزييف والوضع والانتحال والكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه واله، والاعمال التي لاتليق بأمة تعرف مكانتها المرموقة بين الامم المتحضرة، فكان الامام زين العابدين عليه السلام أول من أيقظ الشعور ولفت الانظار الى هذا الخطر المحدق بالأسلام والمسلمين جميعا، فقد نشط عليه السلام في جهده وجهاده وأجتهاده نشاطا عظيما واسعا شمل كل طبقات المجتمع الاسلامي أنذاك.

هدف الامام عليه السلام بخطاباته الالهية المباركة الى عدة أغراض أهمها صد التيار الجارف المنحرف الذي بدأ يتفشى في عهد الامويين، حيث كثر اللهو والطرب والترف وتعدد مجالس الغناء والميسر والغلمان والجواري، وإماتة الروح الاسلامية والقيم الصحيحة المتقيمة، وإبعاد الناس وإرجاعهم الى ماقبل الاسلام (الجاهلية)، وكتب التاريخ الاسلامي الصحيحة شاهد الحق وناطق الصدق على حقيقة تلك الفترات المشؤومة الموبوءة ، وماظهر فيها من ظلم وفساد وأنتهاك وتدمير وإباحة لحرمات الله تعالى ولحرمات رسوله صلى الله عليه واله وأهل بيته الاطهار عليهم السلام في مكة المشرفة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة ودمشق (الساعدي، ٢٠٠٥، ١٩-٢٠).

أن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أهل الفضائل، فهم أكثر الناس مساعدة في أعمال البر، وهم فرسان الزهد ورجال العبادة، وهذا هو زين العابدين عليه السلام يشترك مع أبيه في ملحمة عاشوراء ويحمل بعد مقتله مشعل نهضته يواجه بها الطغاة، ويهدي بها العباد، لايخاف في ذلك لومة لائم، بينما حياته كلها خشوع وخضوع وأستذكار وأستغفار حتى لقب بسيد الساجدين، ولم يعتزل الحياة رغبة في السلام، ولا خضع للطغاة خوفا من سطوة او ملامة، ولاترك صالحات الاعمال زاهدا في ثواب، لقد تمثل في سلوك الامام عليه السلام كل القيم السامية النبيلة التي أكد عليها الاسلام، فكانت المسؤولية ماثلة أمامه، وكان يتحمل أنواع المشاكل لأداء مسؤولياته، ولاتأخذه في ذلك لومة لائم، وتجلى في سلوكه الصبر وهو من أعظم صفات المتقين، والذي صبر عليه السلام على مصائب لامثيل لها، حيث رأى بأم عينه كيف ذبح بنو أمية كل عائلته وعشيرته خلال نهار واحد، وشاهد سبي بنات الرسالة والسير بهن من بلد الى بلد، فصبر على تلك المصائب وحولها الى راية يحملها ضد الظلم والطغيان، كما تجلى في سلوكه الحلم والعفو والصفح، وكان الامام عليه السلام يضرب به المثل في ذلك، ليس لانه كان يحب العفو، ويصفح، ويحلم، بل لان عفوه كان

عفو من يحب العفو ويرغب فيه وصفحه وحلمه كان صفح وحلم من يحب ذلك، وتجلى في سلوكه عليه السلام أيضا عدل الكتاب أذ لم يكتفي بقراءة الكتاب، بل كان يطبقه على نفسه وعلى عائلته، ويعمل بكل حرف فيه، فكان القرآن الناطق كما كان أبوه وجده، هذا وغيرها من الصفات التي تمثل أسمى القيم الانسانية والتي تجلت في سلوك الامام زين العابدين عليه السلام (المدرسي، ٢٠٠٤، ١١٧-١٤٤)

كان عليه السلام إذا تلى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنو أتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال اللهم أرفعني في أعلا درجات هذه الندبة، وأعني بعزم الارادة، وهبني حسن المستعتب من نفسي، وخذني منها حتى تتجرد خواطر الدنيا عن قلبي من برد خشيتي منك، وأرزقني قلبا ولسانا يتجاريان في ذم الدنيا وحسن التجافي منها، حتى لاأقول الا صدقا، وأرني مصاديق أجابتك بحسن توفيقك، حتى أكون في كل حال حيث أردت (الخفاف، ٢٠٠٨، ٣٧-٣٨).

وفي دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة من المكاره وسيء الاخلاق ومذام الافعال يقول (اللهم نعوذ بك أن ننطوي على غش أحد، وأن نعجب بأعمالنا، ونمد في أمالنا، ونعوذ بك من سوء السريرة، وأحتقار الصغير، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان أو يتهضمنا السلطان، ونعوذ بك من تناول الاسراف ومن فقدان الكفاف ونعوذ بك من شماتة الاعداء، ومن الفقر الى الأكفآء، ومن معيشة في شدة، وميتة على غير عدة)، فيالها من قيم نبيلة سامية تجلت في سلوكه عليه السلام، وحث على الالتزام بها طاعة لله تعالى (الشيرازي، ٢٠٠٨، ٧٧).

ثانيا: القيم في نظريات علم النفس:

يميل بعض الباحثين الى تصنيف نظريات القيم في صنفين رئيسيين هما: النظريات النمائية المرحلية والنظريات الديناميكية التفاعلية، الا أن هذا التصنيف يضع عدة نظريات متعارضة اصلا في صنف واحد، وفي هذا نوع من اللبس والتبسيط الذي لامبرر له، فنظرية التحليل النفسي والنظرية المعرفية في القيم كلتاهما نظريتان مرحليتان، الا أنهما تختلفان أختلافات جذرية في طبيعة الافتراضات الاساسية، وفي طبيعة التفسير للتغير في قيم الفرد أثناء نموه، ولذا فانه من غير الصحيح وضع هاتين النظريتين في صنف واحد.

وبدلا من محاولة التصنيف هذه سيتم الحديث عن ثلاث نظريات اساسية في تفسير نشأة القيم ونموها وتغيرؤها، وهذه النظريات هي:

أ- نظرية التحليل النفسي:

ترى النظرية أن نشأة كل القيم ونموها أنما يعتمد على موقف الوالدين من الطفل في سنيه الاولى (Ekstein ,1994 , 526) وفي هذا الصدد يرى فرويد صاحب النظرية أن قيم الطفل يتم أكتسابها في السنوات الخمسة الاولى، وبتحديد أكثر أوضح فرويد أن الطفل يتوحد مع والده من نفس الجنس ويتمثل به

ويتقمص أوامره ونواهيه ليكون منها مايسمى بلغة فرويد " الانا الاعلى " (توق، ١٩٨٩، ٢٥) ويعد الضمير جزءا أساسيا من الانا الاعلى الذي ينمو نتيجة العقاب، أي أستدماج كل مايدينه ويعاقبه عليه والده، كذلك الانا المثالية والتي تنمو نتيجة المكافأة أي أستدماج كل مايوافق عليه والده (**Hjelle & Ziegler** ,1981,36) (**Mckinney,1991 , 184**) وبذلك يتمثل الفرد السلطة الوالدية وتصبح مصادر للثواب والعقاب (**Baron & Byrn , 1987 , 356**) ويبدأ بالتفضيل والاختيار لكل ماهو أيجابي والابتعاد عن كل ماهو سلبي، خشية نبذ الوالدين أو عدم الاستحسان أو خوفا من العقاب ورغبة في الحصول على الثواب،وعليه فان الانا الاعلى يرشد الفرد لسلوكه المستقبلي متاثرا بخبراته الماضية في حياته المبكرة (هول ولندزي، ١٩٧١، ٢٠٩) فالضمير يعاقب الفرد عندما يسلك سلوكا لاأخلاقيا عن طريق الشعور بالذنب والقلق نتيجة لاستدماج تحريمات وعقوبات والديه، ولكي يتجنب الفرد هذا الشعور فانه يتوحد مع القيم المقبولة أجتماعيا، فيشعر يالقبول والاستحسان من الاخرين (**Mussen & Eizenberg ,1987,25**).

أن عملية التوحد هذه قائمة على علاقة الحب بين الطفل ووالديه، ولذا أذا لم تكن هنالك علاقة حب فان الطفل لايمتص معايير وقيم والديه وبالتالي معايير المجتمع، وعليه تتغير قيمه بمايشبع لذاته وحاجاته العاجلة (هول ولندزي، ١٩٧١، ٢١٠).

وفي أطار التحليل النفسي يرى **Erikson** أن القيم بقدر ماهي نتاج تطور الفرد والمجتمع فأنها ترتكز على الترسبات الموجودة في عقل الانسان الناضج، وهذا لايعني أن القيم فطرية، فليس هنالك قيم تولد مع الفرد، فالقيم يمكن تعلمها وكل شخص يطور بعض أنواع القيم والتي ربما تكون معرضة للتغير اللاحق من خلال مايمر به من أحداث) شلتز، ١٩٨٥، ٢١٨).

لقد طور **Erikson** نظرية في النمو النفسي الاجتماعي تشتمل على ثمانية مراحل تتناول الحياة بأكملها من الطفولة الى الكبر (**Liebert &Neale , 1988 , 323**) أذ يرى أن شخصية الفرد لايمكن فهمها الا بالعودة الى دورة حياته كلها كما تعاش ضمن سياق قوى بيئية معقدة ومتفاعلة (**Hjelle & Ziegler** , **1981 , 131**) أن مراحل أريكسون متسلسلة متعاقبة تبدأ كل مرحلة منها مع نهاية مرحلة أخرى، وفي كل مرحلة تصبح الشخصية أكثر تعقيدا (**Engler ,1995 , 36**) وأن كل مرحلة من هذه المراحل أبتداءا بمرحلة الرضاعة وأنتهاءا بمرحلة الشيخوخة تشكل أزمة وصراع لابد أن يحل، أذ أن الاخفاق في أي من هذه المراحل يمكن أن يعيق النمو في مرحلة لاحقة (**Qlugo & Hershey , 1999 , 185-186**) أي أن كل مرحلة تشكل نقطة تحول في السلوك والشخصية يواجه فيها الفرد الخيار بين طريقين – طريق تكيف سيء وسلبي أو طريق تكيف حسن وأيجابي – ولاتظهر الشخصية نموا سويا ألا عندما تحل كل أزمة بصورة أيجابية وتكون لديها القوة على مواجهة المرحلة التالية من النمو (شلتز، ١٩٨٥، ٢١٣).

ويفسر أريكسون نشأة القيم وتطورها في ضوء مصطلح الثقة مقابل عدم الثقة والذي يعتمد على الموقف المبكر بين الام والطفل، فالطفل أولا معتمد على أمه ومساعدتها ومتكل عليها، فكيف تنمو لديه الاتكالية على نفسه بحيث ينشأ شخص لديه ثقة بنفسه والاخرين ؟ يرى أريكسون أن المصدر الاساس لأنماء الاحساس بالثقة لدى الطفل هو الخبرات التي ترتبط بتناول الطعام، خصوصا وأن هذه المرحلة تتميز بالأخذ والاستقبال في كل شيء، فالأخذ هو الشكل الاجتماعي الاول عند الطفل، وأن الطفل يتعلم أشكال الاخذ عن طريق أمه التي تساعده على تنظيم أستعداده للأخذ، كما يتوقف ذلك أيضا على أستعدادها وأسلوبها في الاعطاء (مراد، ١٩٩١، ٤٨-٥٠)، لذلك كانت الراحة والرضا المتبادل بين الام والطفل على جانب كبير من الاهمية في بناء الصداقة بين الطفل والاخرين فيما بعد، وأذا فشلت هذه العلاقة فأنه يلجأ الى الاخذ عن طريق نشاط عشوائي بدلا من النشاط المريح، وقد يلجأ الى مص الاصبع نتيجة عدم أشباع حاجته للطعام عن طريق الثدي،وهنا يبدأ أضطرابه وخصوصا مع من يحب من الناس، فالحرمان من الثدي يجعله يشعر بأحساس عميق بالحرمان والخسارة والذي يقود الى الاحساس بعدم الثقة **(Myers ,1996 , 76)**

ب- النظرية المعلرفية:

تعطي هذه النظرية أهمية خاصة لدور الذكاء في الضبط الاخلاقي، ويمكن الاستنتاج من هذه النظرية أن الشخص الاذكى يسلك بشكل اخلاقي أكثر من الشخص الاقل ذكاءا، لكون الاول اقدر على أستيعاب قوانين بيئته الاجتماعية وتكييف أبنيته المعرفية لتتناسب مع هذه القوانين.

يعتقد اصحاب هذه النظرية أن النمو الاخلاقي للفرد مثل النمو العقلي او المعرفي أنما هو جزء من عملية النضج ضمن أطار خبرة العمر العامة، والنمو الخلقي بهذا المعنى يرتبط بسلسلة من المراحل شبيهة بمراحل النمو المعرفي للفرد، وقد تمكن كل من بياجيه وكولبرك ممثلا هذه النظرية من تحديد مستويات للنمو الخلقي يتلو بعضها بعضا، بحيث لن يصل طفل الى مستوى ما من تلك المستويات حتى يكون قد مارس فعلا المستوى الذي قبله، كما أن الفرد لاينتقل من حالة متقدمة أخلاقيا الى حالة أكثر تأخرا وذلك لان الانتقال من مرحلة الى أخرى يكون بأتجاه واحد هو أتجاه التكامل الى الامام (توق، ١٩٩٥، ٢٦) (الحمداني، ١٩٨٩، ٢٠٠).

يذهب **Piaget** الى أن الاخلاق تبدأ عند الطفل على أساس مسايرة المعايير الاجتماعية كما يضعها المجتمع ومايحدده من مقبول او محرم، لكن بياجه يرى ان هذا النوع من الاخلاق يصل الى حدود معينة حين يتخطاها ينسلخ منها نوع اخر ذو طبيعة اخلاقية مختلفة، فعندما ينمو الطفل ينمو معه فهمه العام للمحيط به ومن ثم فهمه لأسس واحتمالات التعاون بينه وبين باقي مايمثله المجتمع من افراد (فتحي، ١٩٩٣، ٤٦) أي ان هناك نوعين من الاخلاقيات، فهناك أخلاقيات الضبط والتحكم التي تتطور مع النمو

المعرفي للطفل الى نوع أخر من الاخلاقيات وهي أخلاقيات التعاون، وينادي بياجيه بأختلاف الديناميات والمبادىء التي تحرك كلا النوعين، أي أن النمو المعرفي يقود الى تغيرات جوهرية يجعل الاخلاقيات التي تسيطر عليها تتخلى عن مكانها الى النوع الاخر القائم على النسق التبادلي في التأثير (Bower ,1999, 119) (Rest,1993 ,571)

في الواقع لم يحاول بياجيه أن يحدد مراحل متعاقبة للنمو الاخلاقي بقدر محاولاته بيان الفرق بين النوعين، وان الفرد لايستجيب سلبيا الى مايراه حوله او مايفرضه عليه الاخرون وانما هو كائن نشط يفكر فيما يستقبله ويستنتج منه مبادىء عامة يسترشد بها في سلوكه واحكامه.

أما **Kohlberg** فيرى أننا لكي نفهم معنى المرحلة في النمو الاخلاقي يجب أن نضعها في أطار تتابع المراحل النمائية داخل شخصية الفرد، وبما أن النمو الاخلاقي يعتمد على التعقل الاخلاقي، فان التعقل الداخل فيه ينبع من التعقل في النمو المعرفي، ومن ثم فأن أي حكم أخلاقي يصدر عن المرء له أساس في مستواه المعرفي، أي أن هناك شبه توازن بين المرحلة التي يكون عليها الفرد في النمو المعرفي والمرحلة التي يكون عليها في النمو الاخلاقي (Mckinney ,1991,187) (نشواني، ١٩٩٤، ٤٨١)

لقد أستعمل كولبرك عددا من المفارقات يعرضها على الطفل او الراشد ويطلب منه حلا لكل مفارقة وسببا يفسر طبيعة أختياره لهذا الحل، ويؤيد أن مايحصل من تغيرات في بيئة الفرد تؤثر في أدراكه وتفسيره للموضوعات والاحداث وتقود الى الصراع النفسي وعدم التوازن، ونتيجة الى ذلك يسعى الى التكيف والمواءمة مع البيئة وذلك عن طريق أعادة التنظيم المعرفي يصاحبه أعادة تنظيم القيم السابقة او تبني قيم جديدة، بمعنى ان التغير المعرفي يصاحبه تغير في القيم التي يتبناها الفرد.

ج- النظرية السلوكية:

يذهب السلوكيون الى أن الافراد يغيرون في قيمهم وأحكامهم وسلوكهم وفقا لما يترتب على سلوكهم من أحساس بالمتعة أو الاشباع نتيجة المكافأة، أو الاحساس بالالم أو عدم الاشباع نتيجة العقاب (Hurlock ,1997, 96).

كما يرى أصحاب النظرية أن التعزيز الايجابي يعزز من السلوك القيمي المرغوب فيه ويتكرر في المواقف المتشابهة، أما التعزيز السلبي فيعمل على أضعاف السلوك القيمي غير المرغوب فيه، فيغير الافراد في قيمهم كي يتجنبوا القلق والخوف من العقاب (نشواني، ١٩٩٤،٤٨١) وقد يؤدي التعزيز السلبي لسلوك قيمي مرغوب فيه الى أحداث أو تقوية السلوك القيمي غير المرغوب فيه، فيغير من نظرة الافراد للعالم، لذلك يرون أن العالم غير أمن وغير مشبع لحاجاتهم بسبب مايواجهونه من صعوبات عند قيامهم بسلوك أيجابي وفق القيم التي أمنوا بها وأكتسبوها، وبذلك فأنهم يغيرون في قيمهم كي يتجنبوا الاحساس

بألألم نتيجة التعزيز السلبي لسلوكهم، وأذا ماحصلوا على تعزيز أيجابي لسلوكهم القيمي الجديد فأنهم سيكررون هذا السلوك (Freedman ,1998 , 208)

أما أصحاب نظرية التبادل الاجتماعي فيذهبون الى أن الافراد عتدما يقومون بسلوك ما ويدركون أن الاثابات التي يحصلون عليها كالأستحسان الاجتماعي قليلة مقابل مابذلوه من تكاليف عالية كالأستياء الاجتماعي وعدم الرضا، فأنهم قد يخفضون من مستوى التكاليف المدفوعة وذلك بتغيير قيمهم كي تتوازن لديهم وتتناسب نسبة التكاليف الى الاثابات (Myers ,1996 , 385).

وقد وجد أصحاب هذه النظرية أن التشابه بين الافراد في القيم والمعتقدات يعد محفزا كافيا للتجاذب في العلاقات، وأعدوا التشابه كواحد من المحددات الخارجية للكلفة/ الاثابة والتناسب بينهما في التفاعلات الاجتماعية، فنحن ننجذب نحو الاخرين الذين يشاركوننا معتقداتنا وقيمنا، ونحاول الحصول على التشابه معهم كي نحصل على مستوى عال من الاثابة بكلفة واطئة، ونتجنب العلاقات التي نختلف فيها عن الاخرين في القيم والمعتقدات لان في مثل هذه العلاقات فان تكاليفنا النسبية هي أعلى من الاثابة النسبية، فنسعى الى تغيير قيمنا لتقليل التكاليف وزيادة الاثابات (Shaw& Lindskold ,1996 ,408-410)

أما أصحاب نظرية التعلم الاجتماعي فيذهبون الى أمكانية أحداث تغير قيمي من خلال ملاحظة نماذج أجتماعية ومن خلال النمذجة والتي لها أهمية خاصة في تعلم القيم، فالفرد يتعلم الكثير من خلال مايراه من نماذج حية او رمزية، خاصه أذا أقترن سلوك هذه النماذج بنتائج معززة، فمشاهدة الفرد لنموذج أثيب او عوقب على القيام بسلوك ما يخلق توقعا لدى هذا الملاحظ بان قيامه بسلوك مشابه لسلوك النموذج سيجلب له نتائج مماثلة اذا قام بتقليده وبذلك يتجنب النتائج المؤلمة كعدم رضا الجماعة او لومها (Hjelle& Ziejler ,1981 , 248)

وهكذا فان أصحاب هذه النظرية يعدون أن القيم السلبية أو غير المرغوب فيها أجتماعيا يتم تعلمها من خلال الخبرة المباشرة أو نتيجة التعرض الى نماذج سلبية أو غير مناسبة، لهذا فأن الافراد المنحرفين عن القيم والمعايير الثقافية يكونون قد تنمذجوا على نموذج مختلف لايعد مقبولا او مرغوب فيه من أفراد المجتمع وهذا يعد تغير قيمي نحو الاسوأ (شلتز، ١٩٨٥، ٣٩٩).

الاستنتاجات:

أن الامام زين العابدين عليه السلام كان يؤكد في أدعيته على القيم الاسلامية السامية (التواضع، التسامح، الصبر، العدل والانصاف، الاحسان والعطاء، الاحترام المتبادل، الشعور بالمسؤولية وغيرها من القيم)، أذ كان يتوغل في أعماق النفس البشرية فيثير العقول، ويجلو الضمائر، ويرفع الحجب واحدا بعد واحد، ويقمع شهوات النفس جميعا، ويتحدى وساوس أبليس، فيوصل الداعي الى نبع الفطرة ويفجرفيه ينابيع الحقيقة، ففي

كل دعاء من أدعيته أثارة جديدة للعقل، ويقظة متجددة للضمير، وترميم جديد للوجدان، مؤكدا على القيم الاخلاقية والاجتماعية والسمو عن ملذات الحياة، وكان يؤكد في أدعيته على تلك القيم ويظهرها في سلوكه كونه نموذج ورمز للأمة الاسلامية يقتدى به ويفترض أن يتم أتباعه في ذلك، كونه يمثل خط رسول الله صلى الله عليه واله، ولعل ذلك يتماشى مع نظريات علم النفس وبخاصة نظرية التعلم بالملاحظة والتي تفسر الالية التي يتم بها أكتساب الافراد للقيم المقبولة أجتماعيا، أذ تذهب النظرية الى أمكانية أحداث تغير قيمي من خلال ملاحظة نماذج أجتماعية ومن خلال النمذجة والتي لها أهمية خاصة في تعلم القيم، فالفرد يتعلم الكثير من خلال مايراه من نماذج حية او رمزية، خاصه أذا أقترن سلوك هذه النماذج بنتائج معززة، فمشاهدة الفرد لنموذج أثيب او عوقب على القيام بسلوك ما يخلق توقعا لدى هذا الملاحظ بان قيامه بسلوك مشابه لسلوك النموذج سيجلب له نتائج مماثلة اذا قام بتقليده وبذلك يتجنب النتائج المؤلمة كعدم رضا الجماعة او لومها، وهكذا وكون أن الامام عليه السلام هو أمام معصوم وهذا مايدركه الجميع فهو نموذج مؤثر في أكتساب الناس لتلك القيم السامية ونمذجتها.

التوصيات:

١- تضمين المناهج الدراسية وبخاصة في المرحلة الابتدائية جانب من حياة وأدعية الامام زين العابدين عليه السلام والتي تؤكد على القيم الاجتماعية السامية.

٢- حث وسائل الاعلام المرئية والمسموعة في الاستمرار بأظهار تراث الامام زين العابدين عليه السلام وأدعيته وماتحمل من قيم أجتماعية نبيلة كونه نموذج مؤثريقتدى به من قبل الناس.

٣- حث طلبة الدراسات العليا في الجامعات بمزيد من الدراسات والتي تهتم بتحليل محتوى تراث الامام زين العابدين عليه السلام.

المقترحات:

١- تحليل محتوى أدعية الامام زين العابدين عليه السلام لتصنيف القيم التي كان الامام يؤكد عليها.

٢- دراسة الابعاد النفسية والاجتماعية لأدعية الامام زين العابدين عليه السلام.

المصادر:

- توق، محي الدين: ١٩٩٥، المستوى الاجتماعي والاقتصادي والترتيب الولادي وتأثيرهما على النمو الخلقي عند عينة من الاطفال الاردنيين، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الثالث.

- حسين، محمود عطا الله: ١٩٨٥، العلاقة بين القيم والتصلب في السلوك الاجتماعي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد ٢٠.

- الحمداني، موفق: ١٩٨٩، الطفولة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة،٢.

- الخفاف، أسماعيل عبد الرحيم: ٢٠٠٨، الامام زين العابدين في شعر القدماء والمعاصرين، دار الغدير، مطبعة السرور.

- دياب، فوزية: ١٩٩٦، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة.

- زاهر، ضياء: ١٩٨٤، القيم في العملية التربوية، مطبعة النهضة، القاهرة.

- سلامة، أحمد عبد العزيز وعبد السلام، عبد الغفار: ١٩٩٧، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة.

- السلطان، عماد الدين: ١٩٧٧، الصراع القيمي بين الاباء والابناء وعلاقته بتوافق الابناء النفسي، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد ١، القاهرة.

- الساعدي، الشيخ صالح بن الشيخ مهدي صحين: ٢٠٠٥، شرح رسالة الحقوق، دار المرتضى، بيروت.

- الشيرازي، السيد محمد الحسيني: ٢٠٠٨، شرح الصحيفة السجادية، دار العلوم، بيروت.

- شلتز، داون: ١٩٨٥، نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي كربولي وعبد الرحمن عدس، مطبعة جامعة بغداد، بغداد.

- طوالبة، عائشة حسين: ١٩٧٥، دراسة مقارنة للقيم في كتب المطالعة العربية في أسرائيل والاردن، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد.

- عبد الرحمن، سعد: ٢٠٠٠، أسس القياس النفسي والاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

- عبد العال، سيد محمد:١٩٧٦، دينامية العلاقة بين القيم ومستوى الطموح في ضوء المستوى الاجتماعي والاقتصادي في نماذج من المجتمع المصري، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة.

- عبد المجيد، فايزه يوسف:١٩٨٠، التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها ببعض سماتهم الشخصية وأنساقهم القيمية، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة.
- عبد المعطي، عبد الباسط محمد: ١٩٧١، بعض مظاهر صراع القيم في أسرة قروية مصرية، المجلة الاجتماعية القومية، العدد ١، القاهرة.
- العوا، عادل: ١٩٨٩، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس، دمشق.
- فتحي، محمد رفيق محمد: ١٩٩٣، النمو الاخلاقي، دار القلم الكويت.
- كاظم، محمد أبراهيم:١٩٨٥، تطورات في قيم الطلبة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- مراد، يوسف: ١٩٩١، الكتاب السنوي في علم النفس، دار المعارف، مصر.
- المدرسي، هادي ٢٠٠٤، الامام زين العابدين صاحب الصحيفة الربانية وحامل الآلام المضيئة، دار القارىء للطباعة والنشر والتوزيع.
- مغاريوس، صموئيل:١٩٨٤، الصحة النفسية والعمل المدرسي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
- نشواني، عبد المجيد: ١٩٩٤، علم النفس التربوي، دار الفرقان، عمان.
- هول، ك، لندزي: ١٩٧١، نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج وقدري محمود، الهيئة المصرية للنشر، القاهرة.
- هنا، عطيه محمود:١٩٩٦، دراسة حضارية مقارنة في القيم، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- Albert ,E.M.: 1976 , The classification of values , a method and illustration , American anthropologist.v58.
- Baron,R. and Byrne ,D.:1987 , social psychology , understanding human interaction ,allyn and bacon ,boston.
- Bower,T.: 1999 , Human development ,freeman and company ,u.s.a.
.- Cold , T.: 1999 , An introduction to sociology ,Cambridge university
- Cronback ,L.: 2001 , Educational psychology , Harcourt , N.Y.
- Culier, J. and Harper , R.: 1989 , Problems of American society values in conflict , Henery holt and company ,N.Y.
- Ekstein, R.: 1994 , origins of values in children , educational leadership, v21.
.- Engler , B.: 1995 , personality theories , Houghton company ,Boston
- Freedman , L.: 1998 , social psychology , prentice – hall,inc, N.Y.

- Hjelle ,L. and Ziegler , D.: 1981 , personality theories , mcgraw-hill , N.Y.
- Hurlock ,E.: 1997 , Development psychology , mcgraw-hill- inc, N.Y.
- Kluckhohn ,C. and Henry , A.: 1997, personality formation , Alfred knopf,N.Y.
- Liebert, R. and Neal , J.: 1988, psychology , john will & sons , inc , N.Y.
- Mckinney ,J.: 1991 , the development of values , human development , v14.
- Murphy ,G.: 1994 , personality , harper press , N.Y.
- Mussen ,P. and Eisenberg , N.: 1987 , Roots of caring , sharing and helping , .freeman & company , Sanfrancisco
- Myers ,D.: 1996 , psychology , worth publishers ,N.Y.
.- Pierce , B.: 2000, Attitudes in American school , Chicago press
Qlugo J. and Hershey ,G.: 1999, living psychology , mac millan ,N.Y.
- Rest ,J.: 1993 , morality , wiley , N.Y.
- Rokeach ,M.: 1973 , The nature of human values , mac millan ,N.Y.
- Shaw , M. and Lindskold , S.: 1996, social psychology , john wiley, N.Y.
- White , R.: 1983 , value analysis , liberation press , N.Y.
- Zanden ,J.: 1995 , sociology , asystematic approach , roland press ,N.Y.